

تحقيق ودراسة مخطوط

واضح الدليل والبرهان في الرد على القائلين بخلق القرآن.

تأليف كاتبه

أبي المعالي محمد الوفائي الشافعي

في سنة تسع ومائة بالقدس الشريف

خدمت بها سيدي القدوة صاحب التصانيف الجميلة والأقوال المفيدة العلامة سماك أبو الفتح محمد الخطيب الوفائي رَوْمًا منه الإجازة بها بعد إصلاح ما يسمح فضائله وفواصله بإصلاحه، فسح الله مراجله وأجلّه فالحمد لله وحده.

دراسة وتحقيق:

د/ صيته حسين علي بصيص العجمي.

مساعد مدير مدرسة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تحقيق ودراسة مخطوط واضح الدليل والبرهان في الرد على القائلين بخلق القرآن.

صيته حسين علي بصيص العجمي.
قسم العقيدة والفلسفة الاسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
البريد الإلكتروني:so7771@hotmail.com

الملخص

موضوع البحث: يأتي هذا البحث في إطار الرد على القائلين بخلق القرآن، ويرجع هذا المخطوط إلى القرن العاشر الهجري، يرد فيه صاحبه على جواب لأحد أصدقائه من فرقة الزيدية، طلب منه فيه أن يرد على القائلين بخلق القرآن.

أهداف البحث: نسخ المخطوط وتحقيقه وإخراجه للنور، وكذلك الرد على القائلين بقضية خلق القرآن قديما وحديثا.

أهم النتائج:

- جرى المصنف – رحمه الله – في هذا المخطوط على مذهب الأشاعرة في صفة الكلام لله ﷻ.
- اتفق الأشاعرة مع أهل السنة والجماعة على أن صفتي السمع والبصر هما صفتان ذاتيتان لله تعالى.
- إطلاق اسم "شيء" على الذات العلية إنما هو من باب الإخبار عنه فحسب، وليس معنى هذا أنه من أسمائه الحسنى.
- ثبت بالأدلة السمعية والعقلية أن القرآن الكريم كلام الله تعالى غير مخلوق، فهو كلامه القديم المدلول عليه باللفظ الحادث المكتوب بين أيدينا في المصاحف.

أهم التوصيات:

- أوصى نفسى والباحثين أن يوجهوا جهودهم، فى تحقيق كتب التراث لعلمائنا المتقدمين؛ فمن حقهم علينا أن نظهر نفائس مصنفاتهم إلى النور.
- تنقية وتنقيح هذه الكتب؛ فإنها مع نفاستها وأهميتها إلا أنه قد دخل بعضها ما هو مخالف لمذهب السلف الصالح؛ فوجب التنبيه عليه وتنقيحه.

الكلمات المفتاحية: الرد – خلق – حدوث – القرآن – الكلام.

Editing and studying a manuscript with clear evidence and evidence in response to those who say the creation of the Qur'an.

His reputation is Hussein Ali Basais Al-Ajami.
Department of Islamic Faith and Philosophy in the Ministry of Endowments and Islamic Affairs..
Email: so7771@hotmail.com

Abstract:

Subject: This research refutes those who say of createdness of the Qur'an as this manuscript is dated to the tenth century AH in which its author is answering a question of his friend who follows Zaydi madhab. He asked him to reply to those who say of createdness of the Qur'an.

Objectives: copying, editing the manuscript and bringing it out to light besides replying to those who say of the createdness of the Quran in past and present are the main objects of this research.

Major Results:

The author -may Allah have mercy on him- followed the r Ash□ari theology in their belief of Kalam (Allah's speaking)

Ahlu Sunnah Wal Jama'a and Ash□ari theology agreed that hearing and seeing are subjective qualities of Allah

Calling Allah Almighty with the word (Shi) Thing is just a way of referring to him but not name of God's names.

It was proved with intellectual and Islamic proofs that the Quran is Allah's non created words as an old speaking (Qadeem) , written in modern words between our hands in "Mushaf."

Major Recommendations:

I advise myself and all researcher to direct their efforts in editing books of heritage for our preceding scholars as it is their rights that we must bring these values to light.

We need to edit and filter these books although their preciousness and importance, there are some of it contain things contrary to the doctrine of Salaf – the early Muslims.

Key Words: Reply - Creation - Happening - Quran – Speaking.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين، أما بعد؛

ففي عام ٢١٨ هـ أصدر الخليفة العباسي (المأمون) قراره الشهير بامتحان العلماء والفقهاء والمحدّثين في مسألة القول بـ"خلق القرآن"؛ حيث فرض عليهم جميعا الإقرار بأن القرآن مخلوق ومحدَث، مثله مثل بقية المخلوقات في هذا العالم!!

وقد اشتهرت هذه القضية في كتب التاريخ باسم (محنة خلق القرآن)، وقد حظيت تلك الأحداث باهتمام كبير من جانب الكثير من المؤرخين والباحثين؛ حيث اعتقد المعتزلة بخلق القرآن، واعتبروا أن ذلك من الأمور التي لا سبيل للتشكيك فيها، وأن مخالفتها تقدح في وحدانية الله!!

فانبرى أهل السنة للرد على هذه الفرية، التى يلزم عليها مفاسد عقدية كبيرة، منها:

أن من جعله مخلوقا؛ فقد جعل شيئا من صفات الله مخلوقا وحادثا. وهذا كفر بيِّن.

أن القول بأن القرآن مخلوق يلزم منه نفي تكلم الله عز وجل بالوحي ونفي الشرائع والكتب المنزلة التي ثبت أن الله عز وجل كلم بها جبريل عليه السلام ثم بلغها جبريل لأنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم جميعا.

وغير ذلك من المخالفات العقدية الكبرى. وقد أوجز ابن تيمية هذه المفاسد في قوله: " وكان أهل العلم والإيمان قد عرفوا باطن زندقتهم ونفاقَهم – أي: المعتزلة –، وأن المقصود بقولهم: إن القرآن مخلوق: أن الله لا يكلم ولا يتكلّم، ولا قال ولا يقول، وبهذا تتعطل سائر الصفات: من العلم والسمع والبصر وسائر ما جاءتْ به الكتب الإلهية، وفيه أيضاً قدح في نفس الرسالة؛ فإن الرسل إنما جاءت بتبليغ كلام الله، فإذا قُدِح في أن الله يتكلم كان ذلك قدحاً في رسالة المرسلين، فعلموا أن في باطن ما جاؤوا به قدحاً عظيماً في

كثير من أصلَي الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله "(١).

ومن هنا يتبين أهمية الموضوع الذي نحن بصدد تحقيق هذا المخطوط المتعلق به؛ حيث يرد فيه مؤلفه على القائلين والمدافعين عن خلق القرآن.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

وتبرز أهمية الموضوع وأسباب اختياري له من خلال ما يأتي:

١- كون هذه القضية يترتب على اعتقادها كثير من المفاسد العقدية؛ مما يجعل التنبيه عليها والعناية بها ذا شأن.

٢- توجيه العناية لمؤلفات الشيخ أبي المعالي محمد الوفائي؛ حيث لم تتوجه همة الباحثين إلى الاهتمام بمؤلفاته، بل حتى ترجمته والعناية بأخباره (كما سيأتي)، فأردت أن أقدم هذه الخدمة للشيخ، رحمه الله.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في كون هذه القضية (خلق القرآن) يترتب عليها مفاسد وأضرار، كما أنها بدأت تعود إلى الساحة في هذه الآونة مع التيار الذي ينادي بالحداثة، وتاريخية القرآن...إلخ.

فما هي أبعاد هذه القضية؟ وكيف نرد على القائلين بها؟ وما هي المفاسد والأضرار المترتبة على القول بها؟

أهداف الدراسة:

١-الرد على القائلين بقضية خلق القرآن.

٢-الربط بين شبهات القائلين بخلق القرآن قديما وحديثا.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري لم أقف على رسالة أو بحث قام بتحقيق هذا المخطوط؛ مما شجعني القيام بنسخه وتحقيقه، والاجتهاد في جمع ترجمة الشيخ (المصنف) في موضع واحد.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، ابن تيمية (٥١٨/٣).

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على: مقدمة وتمهيد، وقسمين وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على: أهمية الموضـــوع، وأســـباب اختيـــاره، ومشـــكلة الدراسة، وأهدافها.

التمهيد: ويشتمل على إطلالة موجزة حول قضية خلق القرآن فـــي الفكـــر المعاصر.

القسم الأول: ترجمة الشيخ المصنف.

القسم الثاني: النص المحقق.

الخاتمة: وتشتمل على أبرز نتائج البحث وتوصياته.

التمهيد

إطلالة موجزة حول قضية خلق القرآن في الفكر المعاصر

لقد ظهر أثر القول بخلق القرآن جلياً في كتابات بعض المفكرين والأدباء والفلاسفة المعاصرين، وخاصة الذين يدعون إلى العلمانية، وينادون بالحداثة، ونقض التراث أو نقده؛ مما مهَّد لهم أطروحاتهم في نقد القرآن والطعن فيه، مرددين شبهات المستشرقين، وانحرافات القائلين بخلق القرآن.

لقد صرح هؤلاء – في أكثر من موضع من كتاباتهم – بأنهم بنوا نظرياتهم – في القدح في القرآن والشريعة – على رأي المعتزلة في القرآن، وأنه مخلوق وليس كلام الله حقيقة، وممن صرح بذلك: نصر حامد أبو زيد حيث قال: " وإذا كنا هنا نتبنى القول ببشرية النصوص الدينية، فإن هذا الشيء لا يقوم على أساس أيدلوجي يواجه الفكر الديني السائد والمسيطر، بل يقوم على أساس موضوعي يستند إلى حقائق التاريخ، وإلى حقائق النصوص ذاتها، وفي مثل هذا الطرح يكون الاستناد إلى الموقف الاعتزالي التراثي وما يطرحه من حدوث النص وخلقه، ليس استناداً تأسيسياً، بمعنى: أن الموقف الاعتزالي –رغم أهميته التاريخية– يظل موقفاً تراثياً لا يؤسس وحده وعينا العلمي بطبيعة النصوص، الموقف الاعتزالي شاهد تاريخي دال على بواكير وإرهاصات ذات مغزى تقدمي علمي، والمغزى لا الشاهد التاريخي هو الذي يهمنا لتأسيس الوعي بطبيعة النصوص الدينية"(١).

ويتبين من خلال ذلك النص: أن نصر أبو زيد ومن على شاكلته يعتقدون: ببشرية النصوص، مستندين على رأي المعتزلة القائل بخلق القرآن.

وكذلك صرح – أيضا – محمد أركون بتبني رأي المعتزلة في خلق القرآن؛ ليكون ذلك مدخلا لنقد التراث، وإحياء الحداثة!! فقال: " من أجل أن نفتح ثغرة في الجدار المسدود للتاريخ ...نعني بكل بساطة أن القرآن بحاجة

(١) نقد الخطاب الديني، نصر ابو زيد، (ص١٣٩).

إلى وساطة بشرية ، أن نقول بأن القرآن مخلوق فهذا يعني أنه متجسد في لغة بشرية هي هنا اللغة العربية "(١).

ويزيد الأمر وضوحاً في موضع آخر من كتاباته فيقول:" إن مجموع هذه النصوص يتطلب معاملة مزدوجة: فأولاً ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف والإضافة والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس، وثانياً: ينبغي القيام بتحليل التبيين كيف أن القرآن ينجز أو يبلور (بنفس طريقة الفكر الأسطوري الذي يشتمل على أساطير قديمة متبعثرة) شكلاً ومعنى جديداً"(٢).

وبذلك يتبين: أن محنة القول بخلق القرآن لم تنته، بل ما زالت مستمرة، لكن بصور وأسماء أخرى، والهدف من ذلك كله؛ هو أن يجعلوا القرآن الكريم كغيره من النصوص الأدبية والتاريخية، تخضع للقبول والرد، والصواب والخطأ!!

وقد صرح بذلك نصر أبو زيد، فقال: " إن النص القرآني وإن كان نصاً مقدساً إلا أنه لا يخرج عن كونه نصاً،فلذلك يجب أن يخضع لقواعد النقد الأدبي كغيره من النصوص الأدبية "(٣).

وعليه؛ فالقضية خطيرة ينبغى الاعتناء بها، وتفكيك شُبه القائلين بها.

(١) قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون (ص٢٧٩).
(٢) الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، (ص٢٥٠).
(٣) مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر أبو زيد. (ص٢٤).

القسم الأول

ترجمة الشيخ المصنف

ينسب هذا المخطوط المسمى بـ (واضح الدليل والبرهان في الرد على القائلين بخلق القرآن) لأبي المعالي محمد الوفائي الشافعي.

وهو من المؤلفين غير المشتهرين؛ حيث إنه بعد طول بحث لم أقف على ترجمة كافية له، وإنما غاية ما وقفت عليه بعض معلومات يسيرة عن اسمه، وكنيته، وتاريخ وفاته، وكذلك معلومات يسيرة عن كتابه – محل التحقيق –

فقد ورد في (إيضاح المكنون): " (واضح الدليل والبرهان في الرد على القائلين بخلق القرآن) لأبي المعالي محمد الوفائي الشافعي المتوفى ٩٠٩هـ، موجود بدار الكتب دمشق الشام" (١).

كما ذكرت بعض المصادر – التى اعتنت بجمع المخطوطات وتبويبها ووصفها في المكتبات – طرفا آخر يسيرا من الكلام على المؤلف ومخطوطه.

فقد جاء في كتاب (فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهريّة) ما نصه: " (واضح الدليل والبرهان في الردّ على القائلين بخلق القرآن).

المؤلف: أبو المعالي محمد بن علي الوفائي الشافعي، كان حيا سنة ٩٠٩ هـ.

أوله: الحمد لله المتكلم بكلام قديم أزلي قبل وجود الحروف والأصوات العلم الذي بعلمه يعلم ما كان وما يكون مما هو آت. وما لم يكن ولا يكون أن لو كان كيف يكون ... أما بعد فقد سألني شخص من علماء الزيدية في قرية من قرى الينبوع المبارك في سنة سبع وسبعين وثمانمائة على غـرّة منى عن القرآن ما هو فأجبته بخلاف معتقده.

(١) إيضاح المكنون، إسماعيل البغدادي (٤/٦٩٩).

آخره: ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون وهذا مما لم يكن ولا يكون لأنهم لا يردون وأخبر عنهم عما يكون منهم أن لو عادوا وذلك مما لا ريب فيه.

أوصاف النسخة: نسخة من أوائل القرن العاشر الهجري فقد كتبت سنة ٩٠٩ هـ[٢٢٠] ب بخط معتاد غير معجم. رءوس الفقر مكتوبة بالأحمر. الرسالة في مجموع كبير يحوي إعراب الحديث الشريف للعكبري ومختصر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم واسرار ذكر الجهر والاسرار والكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف ... المجموع مكتوب بخطوط مختلفة وبعض أوراقه مصابة بالرطوبة "[١].

فهذا غاية ما وقفت عليه – بعد بحث طويل – في التعريف بالمؤلف والمخطوط – محل التحقيق – ومنه نستطيع أن نستنتج ما يلي:

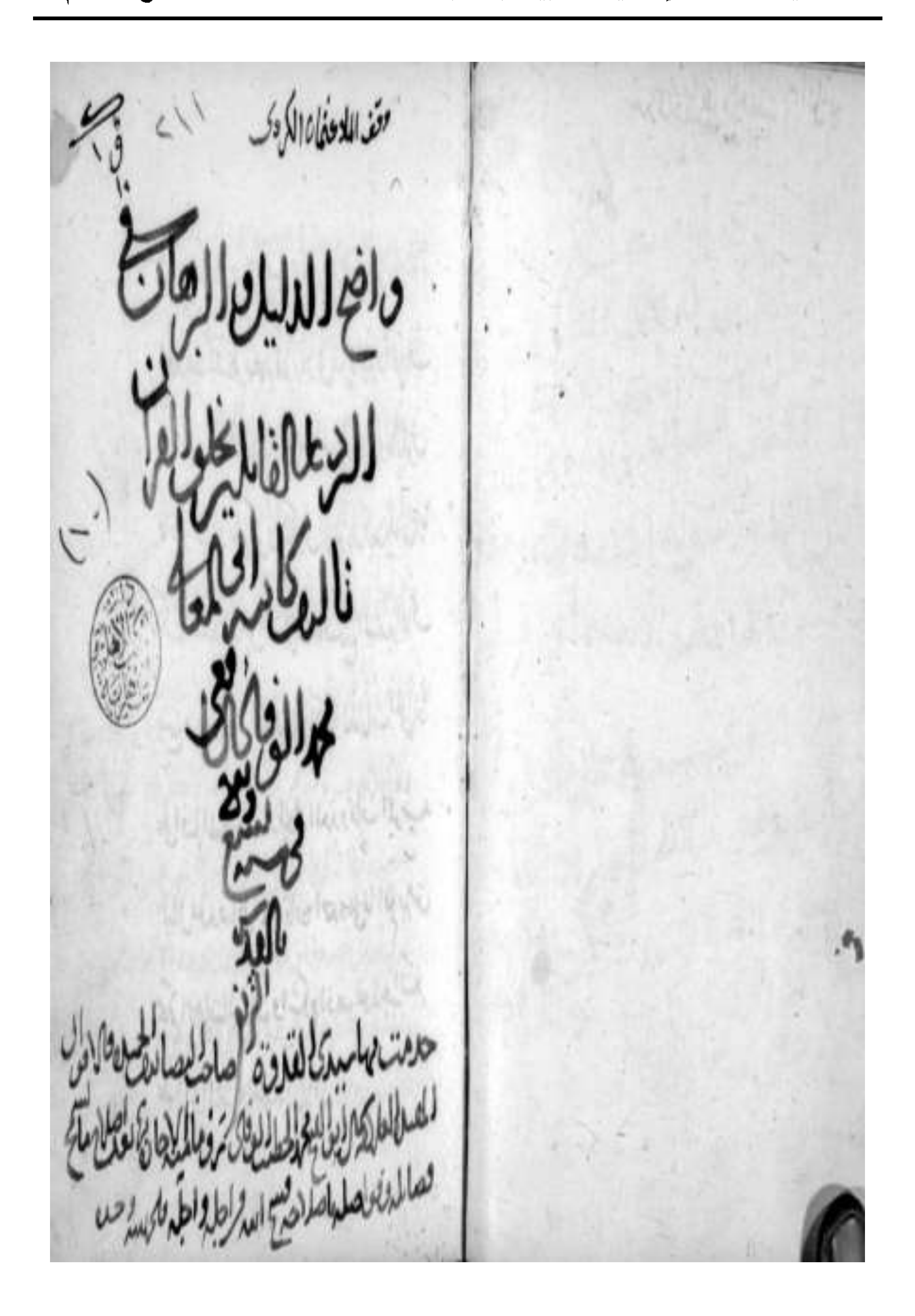
١- أن مصادر ترجمته متفقة على أن له مصنَّف بعنوان: (واضح الدليل والبرهان في الرد على القائلين بخلق القرآن).
٢- أن اسمه: محمد بن علي الوفائي[٢]. وأنه كان من علماء القرن العاشر؛ حيث عاصر سنة (٩٠٩هـ) أوتوفي فيها.
٣- أنه من المتمذهبين بمذهب الإمام الشافعي رحمه الله.
٤- أنه كان فاضلا عالما. يدل على ذلك: تكنيته بأبي المعالي، وهي تدل على علوه في العلم.
٥- أنه لم يكن متعصبا لمذهب معين؛ حيث كانت تربطه علاقة ببعض علماء الزيدية، وكان سؤاله له هو سبب تأليفه هذا الكتاب.

---

(١) فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهريّة، صلاح الخيمي (٣٥٣/٢).

(٢) وقد بحثت في ترجمة المؤلف – أيضا – على الشبكة العنكبوتية فوجدت على موقع (الباحث العلمي) أن المؤلف اسمه: محمد بن أحمد بن محمد الشاذلي.

وأظن أن هذا خطأ في اسم المؤلف. حيث إنه – مع قلة المصادر التى ترجمت للشيخ – إلا أن الموجود فيها وعلى اللوحة الأولى من المخطوط: أن اسمه: محمد بن علي الوفائي.



غلاف المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد
الحمد لله المتكلم بكلام قديم ازلي قبل وجود الحروف
والاصوات العليم الذي يعلم بعلم ما كان وما يكون
وما هو آت وما لم يكن ولا يكون ان لو كان كيف يكون وما
تكنه الصدور من الخطرات السميع البصير الذي
يسمع ويبصر دبيب النملة في حالك الظلمات المحيي المفني
على افنا الموجودات وايجاد المعدومات المريد
الباقي بعد فناء كل المخلوقات احمده على ما الهم به من
محكم الايات البينات واشكره اذ هو نعمة يجب الشكر
عليها الى الممات واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
اله

الذي خلق الخلق وبسط الارض ورفع السموات وان
محمدا عبده ورسوله قطب دائرة السادات صلى الله عليه
وعلى آله واصحابه وحياهم باطيب التحيات صلاة وسلاما
دائمين ما دامت الارض والسموات وما بقيت الذات
والافعال والصفات اما بعد فقد سألني شخص من علماء
الزيدية في قرية من قرى الينبوع المبارك في سنة سبع وسبعين
وثمانمائة على غرة مني عن القران ما هو فاجبت بخلاف
معتقده فقال لي يا شافعي القران شيء او ليس بشيء واذكر
قوله تعالى الله خالق كل شيء ففهمت وجه الاكرام على
ما عنده فعظم ذلك علي ولم اكن على اهبة من ذلك فالهمت
من فضل الله ان قلت له يا زيدي ما تقول في ذات الله تعالى

اللوحة الأولى من المخطوط

اللوحة الأخيرة من المخطوط

القسم الثاني

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ على محمد وآله وصحبه وسلم..،

الحمـــــد لله المتــــكلم بكلام قديـــــم أزليّ قبـــــــل وجـــــــــود الحـــــروف والأصـــــــوات[١]،

---

(١) هذا من المصنف جريًا منه على مذهب الأشاعرة في صفة الكلام لله –عز وجل–؛ حيث إنهم ذهبوا إلى أن: كلام الله تعالى قديم وهو ليس بحرف ولا صوت، ولا يتعلق بمشيئة الله تعالى ولا إرادته، وقد خالفوا بذلك مذهب السلف الصالح قاطبة من لدن النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى ظهر أمثال عبد الله بن كلاب، ومن تبعه؛ ومنهم أبو الحسن الأشعري نفسه؛ قال أبو نصر السجزي في رسالته إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ١١٥): "اعلموا– أرشدنا الله وإياكم– أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نِحَلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب والقلانسي والصالحي والأشعري، وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة وهم معهم بل أخس حالاً منهم في الباطن في أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً ذا تأليف واتساق وإن اختلفت به اللغات. وعبر عن هذا المعنى الأوائل الذين تكلموا في العقليات وقالوا: الكلام حروف متسقة، وأصوات مقطعة. وقالت العرب: الكلام: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى فالاسم مثل زيد وعمرو، والفعل مثل جاء وذهب، والحرف الذي يجيء لمعنى مثل: هل، وبل، وقد، وما شاكل ذلك، فالإجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفاً وصوتاً.

فلما نبغ ابن كلاب وأضرابه، وحاولوا الرد على المعتزلة من طريق مجرد العقل، وهم لا يخبرون أصول السُّنة، ولا ما كان السلف عليه، ولا يحتجون بالأخبار الواردة في ذلك، زعماً منهم أنها أخبار آحاد، وهي لا توجب علماً، وألزمتهم المعتزلة أن الاتفاق حاصل على أن الكلام حرف وصوت، ويدخله التعاقب والتأليف... قالوا: فعلم بهذه الجملة أن الكلام المضاف إلى الله تعالى خلق له، أحدثه، وأضافه إلى نفسه، كما نقول: خلق الله، وعبدالله، وفعل الله.

فضاق بابن كلاب وأضرابه النفس عند هذا الإلزام لقلة معرفتهم بالسنن، وتركهم قبولها، وتسليمهم العنان إلى مجرد العقل. فالتزموا ما قالته المعتزلة، وركبوا مكابرة العيان، خرقوا الإجماع المنعقد بين الكافة: المسلم، والكافر، وقالوا للمعتزلة: الذي ذكرتموه ليس بحقيقة الكلام، وإنما سمى ذلك كلاماً على المجاز لكونه حكاية أو عبارة عنه، وحقيقة الكلام: معنى قائم بذات المتكلم، فمنهم من اقتصر على هذا القدر، ومنهم من احترز عما علم دخوله على هذا الحد، فزاد فيه: "تنافي السكوت، والخرس، والآفات المانعة فيه من الكلام، ثم خرجوا من هذا إلى أن إثبات الحرف والصوت في كلام الله تجسيم، وإثبات اللغة تشبيه، وتعلقوا بشبه؛ منها قول الأخطل:

إن البيان من الفؤاد وإنما*** جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فغيره وقالوا: إن الكلام من الفؤاد". اهـ.

=

=

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– في درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١١١): "وإنما اضطر ابن كلاب والأشعري ونحوهما إلى هذا الأصل: أنهم لما اعتقدوا أن الله لا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته، لا فعل ولا تكلم = = ولا غير ذلك، وقد تبين لهم فساد قول من يقول: (القرآن مخلوق) ولا يجعل لله تعالى كلامًا قائمًا بنفسه، بل يجعل كلامه ما خلقه في غيره، وعرفوا أن الكلام لا يكون مفعولًا منفصلًا عن المتكلم، ولا يتصف الموصوف بما هو منفصل عنه، بل إذا خلق الله شيئاً من الصفات والأفعال بمحل كان ذلك صفة لذلك المحل، لا لله .." إلى أن قال: "وهذا التقرير مما اتفق عليه القائلون بأن القرآن غير مخلوق من جميع الطوائف مثل أهل الحديث والسنة، ومثل الكرامية والكلابية وغيرهم. ولازم هذا أن من قال: (إن القرآن العربي مخلوق) أن لا يكون القرآن العربي كلام الله، بل يكون كلامًا للمحل الذي خلق فيه ... والمقصود هنا: أن عبدالله بن سعيد بن كلاب وأتباعه وافقوا سلف الأمة وسائر العقلاء على أن كلام المتكلم لابد أن يقوم به، فما لا يكون إلا بائناً عنه لا يكون كلامه، كما قال الأئمة: كلام الله من الله ليس ببائن منه، وقالوا: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فقالوا: "منه بدأ" ردًّا على الجهمية الذين يقولون: بدأ من غيره. ومقصودهم أنه هو المتكلم به؛ كما قال تعالى: {تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [الزمر: ١]. وقال تعالى: {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي} [السجدة: ١٣] وأمثال ذلك.

ثم إنهم – مع موافقتهم للسلف والأئمة والجمهور على هذا – اعتقدوا هذا الأصل، وهو أنه لا يقوم به ما يكون مقدوراً له متعلق بمشيئته، بناء على هذا الأصل الذي وافقوا فيه المعتزلة، فاحتاجوا حينئذٍ أن يثبتوا ما لا يكون مقدوراً مراداً، قالوا: والحروف المنظومة والأصوات لا تكون إلا مقدورة مرادة، فأثبتوا معنى واحداً، لم يمكنهم إثبات معان متعددة، خوفاً من إثبات ما لا نهاية له، فاحتاجوا أن يقولوا معنى واحداً، فقالوا القول الذي لزمته تلك اللوازم التي عظم فيها نكير جمهور المسلمين، بل جمهور العقلاء عليهم.

وأنكر النَّاس عليهم أمورًا: إثبات معنى واحد، هو الأمر والخبر، وجعل القرآن العربي ليس من كلام الله الذي تكلم به، وأن الكلام المنزل ليس هو كلام الله، وأنَّ التوراة، والإنجيل، والقرآن إنما تختلف عباراتها، فإذا عبر عن التوراة بالعربية كان هو القرآن، وأن الله لا يقدر أن يتكلم، ولا يتكلم بمشيئته واختياره، وتكليمه لمن كلمه من خلقه –كموسى وآدم – ليس إلا خلق إدراك ذلك المعنى لهم، فالتكليم هو: خلق الإدراك فقط.

ثم منهم من يقول: السمع يتعلق بذلك المعنى وبكل موجود، فكل موجود يمكن أن يرى ويسمع، كما يقوله أبو الحسن.

ومنهم من يقول: بل كلام الله لا يسمع بحال، لا منه ولا من غيره؛ إذ هو معنى، والمعنى يفهم ولا يسمع، كما يقوله أبو بكر ونحوه.

ومنهم من يقول: إنه يسمع ذلك المعنى من القارئ مع صوته المسموع منه، كما يقول ذلك طائفة أخرى.

وجمهور العقلاء يقولون: إن هذه الأقوال معلومة الفساد بالضرورة، وإنما الجأ إليها القائلين بها ما تقدم من الأصول التي استلزمت هذه المحاذير، وإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم...". اهـــ.

=

العليم بعلمه[١] ما كان وما يكون مما هو آت، وما لم يكن، ولا يكون إن لو كان كيف يكون، وما تُكنُّه الصدور من الخطرات.

=

ومما سبق يتبين لنا أن الأشاعرة قد أثبتوا صفة الكلام لله -عز وجل- إجمالًا، مخالفين بذلك للنفاة من الجهمية والمعتزلة؛ غير أنهم قد ذهبوا فيها مذهبًا مبتدعًا مخالفين بذلك لمذهب السلف الصالح؛ حيث إنهم قالوا بأن هذه الصفة إنما هي معنى يقوم بذات الله -عز وجل- لازم له أزلًا وأبدًا، ليس بحرف ولا صوت، ثم سموا هذا الذي ذكروه: صفة "الكلام النفسي" وفقًا لما ذكره صاحب "تحفة المريد على جوهرة التوحيد" (ص: ١٢٩) وغيره من مصنفي الأشاعرة. =

= وقد فند شيخ الإسلام شبهاتهم التي استندوا إليها ونقضها كلها وبين ضعفها وبطلانها في سفره الجليل: كتاب "الإيمان" (ص: ١١١) وما بعدها.

والذي عليه الطائفة المنصورة الناجية -أهل السنة والجماعة- أن القرآن جميعه كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس شيء من ذلك كلامًا لغيره، وأن الله تعالى يتكلم بصوت كما جاءت به الآيات القرآنية، والسنة الصحيحة المتواترة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٤٣- ٢٤٤): " والصواب الذي عليه سلف الأمة - كالإمام أحمد والبخاري صاحب الصحيح في " كتاب خلق أفعال العباد " وغيره وسائر الأئمة قبلهم وبعدهم - أتباع النصوص الثابتة وإجماع سلف الأمة وهو أن القرآن جميعه كلام الله حروفه ومعانيه ليس شيء من ذلك كلاما لغيره؛ ولكن أنزله على رسوله وليس القرآن اسما لمجرد المعنى ولا لمجرد الحرف؛ بل لمجموعهما وكذلك سائر الكلام ليس هو الحروف فقط؛ ولا المعاني فقط. كما أن الإنسان المتكلم الناطق ليس هو مجرد الروح ولا مجرد الجسد؛ بل مجموعهما. وأن الله تعالى يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح وليس ذلك كأصوات العباد لا صوت القارئ ولا غيره. وأن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته علم المخلوق وقدرته وحياته: فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق ولا معانيه تشبه معانيه ولا حروفه تشبه حروفه ولا صوت الرب يشبه صوت العبد فمن شبه الله بخلقه فقد ألحد في أسمائه وآياته ومن جحد ما وصف به نفسه فقد ألحد في أسمائه وآياته".

(١) وهذه واحدة من الصفات التي اتفق الأشاعرة مع أهل السنة والجماعة على إثباتها إجمالًا؛ وهي صفة "العلم" مخالفين بذلك للقدرية النفاة الذين ينفون صفة العلم عن الذات العلية إلا بعد حدوث الكائنات مطلقًا.

غير أن عامة الأشاعرة يثبتون لله تعالى علمًا واحدًا -وهو الأزلي-؛ قال صاحب "تحفة المريد" في تعريف صفة العلم: "هو صفة أزلية متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات على وجه الإحاطة على ما هي به من غير سبق خفاء". اهـ.

فتبين لنا بذلك أنهم ذكروا أن لله تعالى علمًا واحدًا؛ وهو الأزلي الذي يحيط بالكائنات، ونفوا أن يتجدد له علم آخر بعد حدوث هذه الكائنات مطلقًا.

غير أن صريح القرآن يدل على تجدد علم آخر للذات الإلهية حين حدوث تلك الكائنات؛ ومما يدل على =

السميع البصير الذي يسمع ويبصر دبيب النملة في حالك الظلمات(١)، الحي القادر على إفناء الموجودات، وإيجاد المعدومات، المريد الباقي بعد فناء كل المخلوقات(١).

=

ذلك من الكتاب العزيز؛ قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ} [البقرة: ١٤٣]، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٣] وغير ذلك من الآيات الصريحة الدالة على تجدد علم آخر لله تعالى عند حدوث الكائنات إضافة لذلك العلم الأزلي المتصف به سبحانه؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (١٠/ ١٧): "لا ريب أنه يعلم ما يكون قبل أن يكون، ثم إذا كان: فهو يتجدد له علم آخر؟ أم علمه به معدوماً هو علمه به موجوداً؟ هذا فيه نزاع بين النظار" ثم قال عن القول الأول – وهو أنه يتجدد له علم آخر – "وإذا كان هو الذي يدل عليه صريح المعقول، فهو الذي يدل عليه صحيح المنقول، وعليه دل القرآن في أكثر من عشر مواضع، وهو الذي جاءت به الآثار عن السلف". اهـ. والذي دفع إلى حدوث هذا الإشكال الوارد في هذا المعنى بين النظار؛ إنما هو مجرد توهم بأن علمه المتجدد ينفي علمه السابق الأزلي؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على المنطقيين (ص: ٤٦٥): "وهذا جهل؛ فإن القران قد أخبر بأنه يعلم ما سيكون في غير موضع؛ بل أبلغ من ذلك أنه قدر مقادير الخلائق كلها وكتب ذلك قبل أن يخلقها، فقد علم ما سيخلقه علمًا مفصلًا، وكتب ذلك، وأخبر بما أخبر به من ذلك قبل أن يكون وقد أخبر بعلمه المتقدم على وجوده، ثم لما خلقه علمه كائناً مع علمه الذي تقدم أنه سيكون، فهذا هو الكمال وبذلك جاء القران في غير موضع". اهـ.

(١) اتفق الأشاعرة مع أهل السنة والجماعة على أن صفتي السمع والبصر هما صفتان ذاتيتان لله تعالى؛ حيث قالوا في تعريف صفة البصر: "هي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات الذوات وغيرها" وأما صفة السمع فقد عرفوها بقولهم: "هي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات، والأصوات، وغيرها كالذوات ". وينظر: تحفة المريد (ص: ١٤٨).

وقد ذهب بعض المتأخرين من الأشاعرة إلى أن كلا السمع والبصر يتعلقان بالموجودات فيتعلق السمع بالمسموعات والمبصرات على حد سواء، وكذا البصر، فعلى مذهبهم ترجع الصفتان إلى متعلق واحد !! ولا يختلفان حينها عن صفة العلم بحال، بل الثلاثة في هذه الحال ترجع إلى صفة واحدة؛ وهي العلم والإدراك.

ولا ينازع الأشاعرة أهل السنة والجماعة في كون هاتين الصفتين ذاتيتين، وإنما الكلام معهم في كونهما فعليتان أيضًا، فإن مقتضى كلام الأشاعرة في كتبهم أنهما صفتان ذاتيتان فحسب؛ غير أنهم لا ينفون وجود تعلق بين السمع والمسموعات، والبصر والمبصرات بعد حدوثها، وقد ناقشهم شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا حيث قال في رسالته في الصفات الاختيارية –ضمن جامع الرسائل– (٢/ ١٨): "هذا التعلق إما أن يكون وجودًا، وإما أن يكون عدمًا، فإن كان عدمًا فلم يتجدد شيء، فإن العدم لا شيء، وإن كان وجودًا بطل قولهم – إذ هو الفعل عينه الذي فروا من إثباته بدعوى

=

أحمده على ما أنعم به من محكم الآيات البينات وأشكره إذ هو نعمة يجب الشكر عليها إلى الممات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهٌ خلقَ الخلق، وبسط الأرض، ورفع السموات، وأن محمدًا عبده ورسوله، قطب دائرة السادات صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وحياهم بأطيب التحيات، صلاةً وسلامًا دائمين ما دامت الأرض والسموات، وما بقيت الذات والأفعال والصفات.

أما بعد..،

فقد سألني شخص من علماء الزيدية(٢) في قرية من قرى الينبوع المبارك في سنة سبع وسبعين وثمانمائة على غِرَّةٍ(١) مني عن: القرآن ما

=

تنزيه الله من حلول الحوادث به – وأيضًا فحدوث تعلق هو نسبة وإضافة من غير حدوث ما يوجب ذلك ممتنع، فلا تحدث نسبة وإضافة إلا بحدوث أمر وجودي يقتضي ذلك". اهـــ.

ومذهب السلف أن هاتين الصفتين ذاتيتان وفعليتان على حد سواء؛ ومما يدل على أنهما صفتان فعليتان؛ قوله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ١٠٥]. فالسين من قوله: {فَسَيَرَى اللّهُ} تمحض الفعل المضارع للاستقبال، وهذا يدل على أنه يرى أعمالهم بعد نزول الآية. ومن ذلك قول الله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [يونس: ١٤]. فاللام في قوله: {لِنَنظُرَ} هي لام كي الدالة على التعليل، وهذا يقتضي أن ما بعدها متأخر عن المعلول، فنظره كيف يعملون هو بعد أن جعلهم خلائف.

وينظر: جامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ١٥).

(١) هذه الصفات كلها قد اتفق في إثباتها لله تعالى الأشاعرة مع أهل السنة والجماعة؛ قال أبو منصور البغدادي في كتابه "أصول الدين" (ص: ٩٠): "وأصحابنا مجمعون على أن الله تعالى: حي بحياة، وقادر بقدرة، وعالم بعلم، ومريد بإرادة، وسامع بسمع لا بإذن، وباصر ببصر هو رؤية العين لا عين، ومتكلم بكلام لا من جنس الأصوات والحروف.. وأجمعوا أن هذه الصفات السبع أزلية، وسموها قديمة".

(٢) الزيدية: إحدى فرق الشيعة، وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي، وقد ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة، ولم يجوزوا ثبوت إمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي –عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة– إمامًا واجب الطاعة، سواء أكان من أولاد الحسن أم من أولاد الحسين، وجوزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة، ولما كان زيد بن علي يذهب هذا المذهب أراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم، فتتلمذ في الأصول على واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة، فاقتبس منه الاعتزال، وصارت أصحابه كلها معتزلة.

=

هو؟ فأجبته بخلاف معتقده، فقال لي: يا شافعي القرآن شيء أو ليس بشيء؟ وذكر قوله تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٢] ، ففهمت وجه الإكرام على ما عنده، فعظم ذلك عليَّ ولم أكن على أهبة من ذلك، فأُلهمتُ من فضل الله أن قُلتُ له: يا زيدي ما تقول في ذات الله تعالى هل هي شيء أم لا؟! فولّى مسرعًا من غير جواب، فاتضح لمن حضر أن أُلْزم[٣]، فحمدت الله على

=

وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل، وكان لا يتبرأ من الشيخين، ولما عرفت شيعة الكوفة أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه، فسميت رافضة.

ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٧٦/٤)، الملل والنحل، للشهرستاني (١٥٤/١).

(١) الغرة -بكسر الغين وتشديد الراء-: الغفلة؛ والغار: الغافل. يقال منه: اغتررت يا رجل. واغتره؛ أي: أتاه على غرة منه. واغتر بالشيء: خدع به. ومنه الحديث: «أنه -صلى الله عليه وسلم- أغار على بني المصطلق وهم غارون» أي: غافلون.

ينظر: الصحاح تاج اللغة، باب (الراء) فصل (الغين) مادة (غرر) (٢/ ٧٦٨)، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف (الغين المعجمة) باب (الغين مع الراء) مادة (غرر) (٣/ ٣٥٥)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، كتاب (الغين) (الغين مع الراء وما يثلثهما) مادة (غ ر ر) (٢/ ٤٤٥).

(٢) سورة: الزُّمر، الآية: (٦٢).

(٣) وهذا من توفيق الله تعالى له، فإن كلمة "شيء" هي أعم كلمة يعبر بها عن أدق وأدنى ما يسمى أو ما يرى أو ما يكون في حيز الوجود، فهي كلمة يؤتى بها للتعبير عن الوجود ونفي العدم؛ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني معقبًا على تبويب الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- في صحيحه: "باب {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ} [الأنعام: ١٩]، «فَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ شَيْئًا". قال: "والشيء يساوي الموجود لغة وعرفًا، وأما قولهم: فلان ليس بشيء فهو على طريق المبالغة في الذم؛ فلذلك وصفه بصفة المعدوم ... قال عبد العزيز بن يحيى المكي: سمى الله تعالى نفسه شيئًا إثباتًا لوجوده ونفيا للعدم عنه". اهـــ.

والشيخ إذ أجاب ذلك الزيدي -الأبعد- عن شبهته التي طرحها ليثبت من خلالها أن القرآن مخلوق؛ وذلك لدخوله -بزعمه- في قول الله تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ إنما يقصد أنه كما تستثنى الذات الإلهية ضرورة من هذا العموم الوارد في الآية، فأيضًا يستثنى كلام الله تعالى الذي هو القرآن -وهو صفة من صفاته- من ذلك العموم، وهو عين ما بوب به الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- في كتابه حيث أتبع الترجمة المذكورة آنفًا بقوله: "وَسَمَّى النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- القُرْآنَ شَيْئًا، وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ»، وَقَالَ: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}".

قال الجلال المحلى في شرحه على جمع الجوامع (٢/ ٦٠): (يجوز التخصيص بالحس) كما في قوله تعالى في الريح المرسلة على عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥] أي تهلكه فإنا ندرك بالحس

=

ذلك، ومثل ذلك ما وقع لي بالقاهرة بُعيد في سنة ثمان وتسعمائة: أن بعض أحبار اليهود[1] أنكر القول بالنسخ[2] لاستحالة البدءَ، وأنكر وقوعه قبلنا

=

أي المشاهدة ما لا تدمير فيه كالسماء. (والعقل) كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] فإنا ندرك بالعقل ضرورة أنه – تعالى – ليس خالقا لنفسه". اهـ.

ويجب أن يتنبه إلى أن إطلاق اسم "شيء" على الذات العلية إنما هو من باب الإخبار عنه فحسب، وليس معنى هذا أنه من أسمائه الحسنى؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٢): "ويفرق بين دعائه والإخبار عنه؛ فلا يدعى إلَّا بالأسماء الحسنى، وأما الإخبار عنه؛ فلا يكون باسم سيِّئٍ، لكن قد يكون باسم حسنٍ، أو باسم ليس بسيِّئٍ، وإن لم يحكم بحسنه؛ مثل: اسم شيء، وذات، وموجود".

وسيأتي كلام المصنف –رحمه الله تعالى– في هذا السياق مفصلًا، وهذا مما وافق فيه الأشاعرة أهل السنة والجماعة، والحمد لله تعالى على نعمه ووافر فضله.

(١) اليهودية: هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة؛ ليكون لهم نبيًّا، واليهودية ديانة يبدو أنها منسوبة إلى يهود الشعب، وهذه بدورها قد اختلف في أصلها، وقد تكون نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب، وعممت على الشعب على سبيل التغليب، وأصل هذه الديانة التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى –عليه السلام–، والتي كان يدعوا بها –كسائر الرسل– إلى التوحيد، وإلى نبذ عبادة الأنداد، وغير ذلك من أركان دعوة الأنبياء، ثم حرفت هذه الديانة فأصبحت ديانة شركية محرفة يمكن لمعتنقها ألا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ومع ذلك يطلق عليه يهودي؛ وهذا يرجع إلى طبيعة اليهودية بوصفها تركيبًا جيولوجيًا تراكميًا يضم عناصر عديدة متناقضة متعايشة دون تمازج أو انصهار، وهم فرق كثيرة غير محصورة؛ منها: العنانية، والعيسوية، والمقاربة واليوذعانية، والسامرة.

ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/٨٢)، الملل والنحل (٢/١٥).

(٢) النسخ لغة: الرفع والإزالة، يقال: نسخت الشمس الظل، وانتسخته؛ إذا أزالته وبددته. ويطلق أيضًا على النقل؛ ومنه: نسخت الكتاب: إذا نقلته من موضع إلى موضع آخر غيره.

ينظر: الصحاح تاج اللغة، باب (الخاء) فصل (النون) مادة (نسخ) (١/ ٤٣٣)، مقاييس اللغة، كتاب (النون) باب (النون والسين وما يثلثهما) مادة (نسخ) (٥/ ٤٢٤)، المصباح المنير، كتاب (النون) (النون مع السين وما يثلثهما) مادة (ن س خ) (٢/٦٠٢)، لسان العرب، حرف (الخاء) فصل (النون) مادة (نسخ) (٣/ ٦١).

واصطلاحًا: عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر.

ينظر: الفصول في الأصول (٢/ ١٩٧)، أصول السرخسي (٢/ ٥٣)، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (٣/ ١٥٥)، التقرير والتحبير (٣/ ٤٠).

والتمس جوابًا غير ما قيل له من البيطر[١] بطريقة الطبيب، فألهمتُ أيضًا أن قلتُ له: هل كانت الأخت تحل لأخيها قبل بعثة الكليم -صلى الله عليه وسلم- من لدن آدم إلى أن ورد نسخه عند كثرة النسل؟!! فبهت الذي كفر وولى.

قيل: إنما في الحجة قائلًا: لا جواب لهم عن ذلك ولما أنعمت الإزادة علي بعض الشافعية بالقدس الشريف عَنَّ[٢] لي تأليف شيء في الرد على من حاد عن طرق الرشاد، وقال بخلق القرآن مع التعرض للرد على الجهمي[٣] والقدري[٤] إنكار علم الله، قال: فاستخرتُ[١] الله تعالى وجمعتُ ذلك في فصلين وخاتمة على وجه الإيجاز.

---

(١) البَطِيرُ، والبَيْطَرُ، والبَيْطارُ، والبِيَطْرُ، والمُبَيْطِرُ: معالج الدواب، وأصله: من البطر؛ وهو: الشق؛ يقال: هو يبيطر الدواب؛ أي: يعالجها، ويقال لمعالجته: البيطرة.

ينظر: مقاييس اللغة، كتاب (الباء) باب (الباء والطاء وما يثلثهما) مادة (بطر) (١/ ٢٦٢)، لسان العرب، حرف (الراء) فصل (الباء الموحدة) مادة (بطر) (٤/ ٦٩)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، كتاب (الباء) (الباء مع الطاء وما يثلثهما) مادة (ب ط ر) (١/ ٥١).

(٢) يقال: عَنَّ لي كذا، يَعِنُّ، ويَعُنُّ، عَنَنًا؛ أي: عرض، واعترض. ويقال: لا أفعله ما عن في السماء نجم؛ أي: ما عرض. والعنان -بالفتح-: السحاب، والواحدة: عنانة. وقيل: ما عن لك منها؛ أي: اعترض وبدا لك إذا رفعت رأسك.

ينظر: الصحاح تاج اللغة، باب (النون) فصل (العين) مادة (عنن) (٦/ ٢١٦٦)، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف (العين) باب (العين مع النون) مادة (عنن) (٣/ ٣١٣).

(٣) الجهمية هم: أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية. وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء منها: قوله: بأنه لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه، لأن ذلك يقضي تشبيها، فنفي كونه حيًا عالمًا، وأثبت كونه: قادرًا، فاعلًا، خالقًا؛ لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة، والفعل، والخلق.

ومنها: قوله بأنه لا يجوز للباري -سبحانه وتعالى- أن يعلم الشيء قبل خلقه.

ومنها قوله في القدرة الحادثة: إن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله؛ لا قدرة له، ولا إرادة، ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازا كما تنسب إلى الجمادات.

ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ص: ١٩٩)، الملل والنحل، للشهرستاني (٨٦/١).

(٤)القدرية هي: إحدى أوائل الفرق المنتسبة للإسلام، والتي ظهرت في عهد الصحابة، وأول من قال بالقدر هو معبد الجهني البصري في آواخر عهد الصحابة، وأخذ عنه غيلان الدمشقي، وقد تبرأ =

فصل: في الرد على من قال بخلق القرآن:

ويشتمل على ثلاثة مقاصد[٢]:

المقصد الأول: في إبطال قوله: إن القرآن سُمي بالشيء، دعوى دخوله في عموم[٣] لفظة شيء الآية في قوله تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[١]

=

منهم من سمع بهم من الصحابة كعبد الله بن عمر وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وعبد الله بن أوفى وعقبة بن عامر الجهني وغيرهم. وهو طوائف:

*منهم القدرية النفاة: وهم الذين يطلق عليهم أكثر العلماء اسم القدرية؛ وحقيقة مذهبهم أنهم يقولون: إن أفعال العباد، وطاعاتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره، فأثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقات وأوصافها، ونفوا قدرته على أفعال المكلفين، وقالوا: إن الله لم يردها ولم يشأها منهم، بل هم الذين أرادوها وشاءوها، وفعلوها استقلالاً بدون مشيئة الله.

*ومنهم القدرية المجبرة: وهم (غلاة الجهمية) الذين إمامهم في هذا وغيره (جهم بن صفوان) وهم يزعمون أن عموم مشيئة الله، وعموم إرادته، تقتضي:

أن العبد مجبور على أفعاله، مقسور مقهور على أقواله وأفعاله.

لا قدرة له على شيء من الطاعات، ولا على ترك المعاصي.

ومع أنه لا قدرة له على ذلك عندهم، فهو مثاب معاقب على ما لا قدرة له عليه.

ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (٩٣/١)، منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (١٦٢/١، ١٩٤).

(١) الاستخارة: استفعال من الخير، بمعنى: طلب الخيرة في الشيء؛ يقال استخر الله يخر لك. وخرت يا رجل، فأنت خائر وخير. وخار الله لك؛ أي: أعطاك ما هو خير لك.

ينظر: تهذيب اللغة، كتاب (الثلاثي المعتل من حرف الخاء) باب (الخاء والراء) مادة (خير) (٧/ ٢٢٣)، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف (الخاء) باب (الخاء مع الياء) مادة (خير) (٢/ ٩١)، تاج العروس، باب (الراء) فصل (الخاء من باب الراء) (١١/ ٢٤٦).

(٢) المقصد: مفعل من القصد؛ وهو: إتيان الشيء وأمه، وهو بمعنى: المطلب؛ يقال: قصدته قصدا ومقصدا. ومن الباب: أقصده السهم: إذا أصابه فقتل مكانه، وكأنه قيل ذلك؛ لأنه لم يحد عنه. ينظر: الصحاح تاج اللغة، باب (الدال) فصل (القاف) مادة (قصد) (٢/ ٥٢٤)، مقاييس اللغة، كتاب (القاف) باب (القاف والصاد وما يثلثهما) مادة (قصد) (٥/ ٩٥)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، كتاب (القاف) (القاف مع الصاد وما يثلثهما) مادة (ق ص د) (٢/ ٥٠٤).

(٣) العام لغة: اسم فاعل من العموم، بمعنى: الشمول والإحاطة. ومنه سميت العمامة لأنها تحيط بالرأس، يقال: عمّ يعم عمومًا وعامًا، وعمهم بالعطية. أي: شملهم. فهو شمول أمر لمتعدد، سواء كان الأمر لفظًا أو غيره، ومنه: عمهم الخبر إذا شملهم وأحاط بهم.

ينظر: مختار الصحاح، باب (العين) مادة (ع م م) (صـــ ٢١٨)، المصباح المنير، كتاب (العين) (العين مع الميم وما يثلثهما) مادة (ع م م) (٢/ ٤٣٠)، لسان العرب، حرف (الميم) فصل (العين) (العين

=

، وإن ذلك عم كل ما سوى الله تعالى عمومًا يدخل فيه كلام الله وقوله وأمره وعلمه، وفيه البرهان على أن القرآن شيء لا كالأشياء، وأنه خارج من ذلك العموم الذي زعمه الملحد(٢).

المقصد الثاني: في إثبات أن لله علمًا غير داخل في مسمى الشـــيء، وأنه خارج عن الأشياء، وأن له نفسًا كذلك.

المقصد الثالث: في رد قول الملحد بأن القرآن مخلوق، وردّ استدلاله على ذلك بقوله تعالى: ﴿جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾(٣) ، وردّ دعواه أن الجعـــل لا معنى له إلا الخلق.

الفصل الثاني: في الرد عليه وإبطال مذهبه من حيث النظر والعقل.

والخاتمة: في الرد على الجهمي والقدري إنكارهما أن الله تعالى علم ما يكون قبل أن يكون، وأنه تعالى قد علم ما لم يكن ولا يكون أن لو كـــان كيف يكون.

=

المهملة) مادة (عمم) (١٢/ ٤٢٦)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٢/ ١٢٣٧).

واصطلاحًا هو: ما ينتظم جمعًا من الأسماء لفظًا أو معنى، فاللفظ؛ كقولنا: مسلمون ومشرقون. والمعنى؛ كقولنا: من وما. أو هو: اللفظ الواحد الدال على مسميين فصاعدا مطلقا معًا.

ينظر: أصول الشاشي (ص: ١٧)، تقويم الأدلة في أصول الفقه (ص: ٩٤)، قواطع الأدلة في الأصول (١/ ١٥٤)، الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي (٢/ ١٩٦).

(١) سورة: الزُّمر، الآية: (٦٢).

(٢) أصل الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد؛ يقال: لحد علي في شهادته يلحد لحدا: إذا أثم فيها. ولحد إليه بلسانه: إذا مال. والمقصود به هنا: الشك في وجود الله تعالى والشرك به؛ يقال: ألحد في دين الله، أي حاد عنه وعدل. وقيل: كل ظالم ملحد.

ينظر: الصحاح تاج اللغة، باب (الدال) فصل (اللام) مادة (لحد) (٢/ ٥٣٤)، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف (اللام) مادة (لحد) (٤/ ٢٣٦)، لسان العرب، حرف (الدال المهملة) مادة (لحد) (٣/ ٣٨٩).

(٣) سورة: الزُّخرف، الآية: (٣).

فالمقصد الأول: إذا قال الملحد القرآن شيء أم غير شيء:

يقال له: إن كنتَ تريد أنه شيء إثباتًا للوجود، ونفيًا للعدم، فيفهم، وإن كنت تريد أن الشيء اسمًا له، وأنه كالأشياء، فلا؛ لأن الله تعالى لم يسمه شيئًا كما زعمت؛ ولأن الله تعالى أجرى على كلامه ما أجراه على نفسه، فلم يتسم بالشيء، ولم يجعل الشيء اسمًا من أسمائه، ولا من أسماء كتابه المنزّل على نبيه المرسل، ولكن دل على نفسه أنه شيء موجود أكثر الأشياء إثباتًا لوجوده تعالى منزه عن الشبه والكيف، ونفيًا للعدم، وتكذيبًا للزنادقة(١) والدهرية(٢)؛ بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شيءٍ أكبرُ شَهَادةً قُلِ اللهُ شَهيدٌ بَيني وَبَينَكُم﴾(٣) ومن ثَمَّ بطلت دعواه العموم المتقدم ذكره، وقال تعالى: ﴿وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾(٤) ، ولم يرد

---

(١) الزنادقة: هم قوم من الثنوية، وهو معرب، والجمع الزنادقة، والهاء عوض من الياء المحذوفة، وأصله الزناديق. وقد تزندق، والاسم الزندقة، وقد ظهرت هذه الكلمة بعهد "ماني" وإليه أضيف الزنادقة وذلك أن الفرس أتاهم "زرادشت" بكتاب يسمى "البستاه" وعمل له تفسيرًا أسماه "الزند" وعمل لهذا التفسير شرحا سماه "البازند" فكل من عدل عن "البستاه" إلى "الزند" وشرحه "البازند" قالوا عنه: "زندي"؛ لأنه مؤول ومنحرف عن الظاهر من المنزل، فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى عن الفرس وقالوا: زنديق.

والثنوية هم الزنادقة، ومنهم من يطلق هذا اللفظ على فرقة خاصة قرينة لليهود والنصارى، ومنهم من يطلقه على أهل المجون والخلاعة، ومنهم من يطلقه على الجهمية والمعتزلة ومن يقول بأن القرآن مخلوق، ومنهم من يطلقه على غيرهم.

ينظر: مروج الذهب، للمسعودي (ص: ٩٠)، الصحاح تاج اللغة، باب (القاف) فصل (الزاي) مادة (زندق) (١٤٨٩/٤).

(٢) الدهرية -بفتح الدال المهملة وقد تضم-: نسبة إلى الدهر، وهم الطائفة الذين أنكروا وجود الله – سبحانه وتعالى-، وزعموا أن الأشياء والأكوان كانت بلا مكوّن، وإنما تتصرف بطبيعتها فتوجد وتعدم بأنفسها، ليس لها رب يتصرف فيها، إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع، ومنه مفرقة يقال لهم: "الدورية" وهم يعتقدون أنَّ في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أنَّ هذا قد تكرَّر مرات لا تتناهى فكابروا في المعقول وكذَّبوا المنقول -قبحهم الله تعالى- . وهاتان الطائفتان يعمهم قوله عز وجل: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ} [الجاثية:٢٤].

ينظر: الملل والنحل، للشهرستاني (٣/ ٧٩)، الحور العين، للحميري (ص: ١٤٣)، معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٧٧٦).

(٣) سورة: الأنعام، الآية: (١٩).

(٤) سورة: الأعراف، الآية: (١٨٠).

الشيء في جملتها، وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[١] ، فقوله غيّر مكوّنه، فعلم أن كلامه ليس كالأشياء؛ لخروجه عنها، ومباينته لها، وتقدمه عليها وأن الأشياء إنما تكون حادثة بقوله وكلامه وأمره، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[٢] ، مجمع من لفظه الخلق جميع مخلوقاته ثم قال: ﴿وَالأَمْرُ﴾ أي: الذي كان به هذا الخلق، فكلامه وأمره وقوله غير مخلوقاته، ولا يقال أنها ألفاظ متباينة المعنى، فإن الله تعالى قال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾[٣] ، يعني: القرآن، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾[٤] يعني: القرآن، وقال: ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾[٥] ، ثم يقال: استظهارًا عليه في رد القول بعموم الشيء، العموم الذي زعمه المُلحد ما يقول في قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ﴾[٦] ، يعني الريح المرسلة على عاد، هل أبقت شيئًا لم تدمره؟!!، فإن قال لبقاء العموم، يقال له: قد أكذبك الله تعالى، وزيّف دعواك بقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾[٧]، إذ المساكن أشياء كثيرة، وإن قال لم تعم، فقد أبطل مذهبه، ورجع عن دعواه، أو يقال له: مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾[٨] ؛ إذ تركت أرضًا وجبالاً، ولذلك قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٩] ، يعني بلقيس، والحال أنها لم تؤت ملك سليمان، وهو أضعاف ما أوتيته[١٠].

---

(١) سورة: النحل، الآية: (٤٠).
(٢) سورة: الأعراف، الآية: (٥٤).
(٣) سورة: التوبة، الآية: (٦).
(٤) سورة: الدخان، الآية: (٣-٥).
(٥) سورة: الأحزاب، الآية: (٤).
(٦) سورة: الأحقاف، الآية: (٢٥).
(٧) سورة: الأحقاف، الآية: (٢٥).
(٨) سورة: الذاريات، الآية: (٤٢).
(٩) سورة: النمل، الآية: (٢٣).
(١٠) وقد سبق ذكر تلخيص هذه المسألة من كلام الحافظ ابن حجر العسقلاني، وشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمهما الله تعالى–.

المقصد الثاني: في إثبات أن لله علمًا غير داخل في مسمى الشيء، وأنه خارج عن الأشياء، وأن له نفسًا كذلك.

يقال له: أتقر بأن لله علمًا أم لا؟ فإن أنكر ذلك يورد عليه قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾(١) ، وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾(٢) ، وقوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ﴾(٣) ،وقوله ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾(٤) ، ولا يقبل دعواه أن معنى العلم أن لا يجهل؛ لأن نفي السؤال يثبت به المدحة، فقولك: هذه الاسطوانة لا تجهل ليس فيه إثبات وصف العلم لها، ولا المدح بذلك، ولم يمدح الله تعالى في كتاب من كتبه نبيًا ولا مؤمنًا ولا ملكًا نهي الجهل؛ لتدل على إثبات العلم، وإنما مدحهم بالعلم بنحو قوله تعالى: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ(١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ(١٢)﴾ (٥)، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٦) ، ويلزم من إثبات المدحة نفي السوء، و لا عكس إلا في رأي الملحد.

فإذا تقرر ذلك، أو أقر بأن لله علمًا، يقال له: إن زعمت أن علم الله داخل في الأشياء المخلوقة حين قال: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٧) ، فقد وقعت في ربقة(٨) تشبيه الله تعالى بخلقه الذين أخرجهم من بطون أمهاتهم لا

(١) سورة: النساء، الآية: (١٦٦).
(٢) سورة: البقرة، الآية: (٢٥٥).
(٣) سورة: هود، الآية: (١٤).
(٤) سورة: فصّلت، الآية: (٤٧).
(٥) سورة: الانفطار، الآية: (١١- ١٢).
(٦) سورة: فاطر، الآية: (٢٨).
(٧) سورة: الزُّمر، الآية: (٦٢).
(٨) الربقة -بكسر الراء- في الأصل: هي عروة تكون في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، وقد تستعمل في الأشياء على سبيل الاستعارة؛ ومنه الحديث: «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه» فقد استعارها هنا للإسلام، ويعني بها: ما يشد به المسلم نفسه من عرى الإسلام؛ أي: حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه. وتجمع الربقة على: ربق، مثل كسرة وكسر. ويقال للحبل الذي تكون فيه الربقة: ربق، وتجمع على: أرباق ورباق.
ينظر: الصحاح تاج اللغة، باب (القاف) فصل (الراء) مادة (ربق) (٤/ ١٤٨٠)، شمس العلوم ودواء =

يعلمون شيئًا[١]؛ إذ كل من تقدم وجوده على علمه قد ثبت عليه الجهل فيما بين وجوده وحدوث علمه، وهذا وصف مستحيل في حق الله -جل وعز-، ولا يجوز إلا في حق المخلوقين، والله تعالى أهلٌ أن يوصف بذلك، ومن أقحم ذلك وافتراه حل ذمه[٢].

وإن رجعت عن ضلالتك وأباطيل أقاويلك وأعرفت بأن الله علمًا، وهو خارج عن الأشياء المخلوقة، وغير داخل في عموم الأشياء، كما أن كلًا من كلامه وأمره وقوله لم يدخل في ذلك، فقد انخرطت في سلك من مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[٣] ، ونجوت من نجاسة: ﴿الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[٤].

وأما كلام الملحد لنا ها أنتم أثبتم لله علمًا، واتفقنا على أنه سبحانه من صفاته أنه سميع بصير، فهل له سمع وبصر كما قلتم أن له علمًا؟!! فينبغي أن يقال له: أنّا لا نطلق هذا لذلك، ولكنا لا نثبت لله إلا ما أثبته لنفسه، بل نمسك عما وراء ذلك، وقد أخبرنا أن له علمًا، وأنه سميع بصير، فأقررنا بذلك وأثبتناه، ولم يخبرنا بأن له سمعًا وبصرًا، فوقفنا وأمسكنا عن ذلك، ولم يتعرض إلى الخوض فيما تشابه والله أعلم[٥].

=

كلام العرب من الكلوم، حرف (الراء) باب (الراء والباء وما بعدهما) مادة (ربقة) (٤/ ٢٣٧٣)، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف (الراء) باب (الراء مع الباء) مادة (ربق) (٢/ ١٩٠).

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

(٢) مر الكلام على أن الأشاعرة لا يثبتون لله تعالى سوى علمًا واحدًا وهو الأزلي، وقد مر الكلام في تفصيل هذه المسألة من قبل.

(٣) سورة: الزُّمر، الآية: (١٨).

(٤) سورة: النساء، الآية: (٤٦).

(٥) هذا جريًا منه -غفر الله تعالى له- على اعتقاد الأشاعرة في صفتي السمع والبصر في حق الله تعالى، ولازم ذلك عندهم أن ترجع صفات العلم والسمع والبصر كلها إلى الإدراك، وقد مر تفصيل هذه المسألة والرد على اعتقادهم هذا، بما أغنى عن إعادته هنا.

ومما يستظهر به أيضًا عليه، وفيه إثبات أن لله نفسًا أن يقال له: أتقر بأن لله نفسًا أم لا؟ فإن أنكر ذلك؛ أورد عليه قوله تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ[١] لِنَفْسِي﴾[٢] ، وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[٣] ، وقوله: ﴿تَعْلَمُ[٤] مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[٥] ، فإذا تقرر ذلك أو أقر به يقال له ما تقول في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[٦] ، هل عمّ كل الأنفس كالعموم في قوله: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٧] ، فتكفر في الموضعين، أو يرجع عن دعواك فيهما، أو سنبين لك فساد دعوى عموم الشيء لكل الأمثال، العموم الفاسد، وذلك أن يعلم أن الله تعالى أنزل القرآن على أربعة أخبار خاصة وعامة[٨]:

- فمنها خبر مخرجه مخرج العموم[٩]، ومعناه معنى العموم.
- ومنها مخرجه مخرج الخصوص[١٠]، ومعناه معنى الخصوص، فهذان خبران محكمان لا يتصرفان بإلحاد ملحد.

---

(١) في المخطوط: ﴿واصطيفيتك﴾.
(٢) سورة: طه، الآية: (٤١).
(٣) سورة: الأنعام، الآية: (٥٤).
(٤) في المخطوط: ﴿يعلم﴾.
(٥) سورة: المائدة، الآية: (١١٦).
(٦) سورة: الأنبياء، الآية: (٣٥).
(٧) سورة: الزّمر، الآية: (٦٢).
(٨) هذه المناظرة قد اقتبسها المصنف -رحمه الله تعالى- من كلام عبد العزيز بن يحيى المكي حين ناظر بشر المريسي بحضرة المأمون، وقد سردها باختصار مكي بن أبي طالب في سفره الجليل: الهداية الى بلوغ النهاية (٣/٢١٢٣) وما بعدها.
وينظر: الفصول في الأصول (١/ ١١٦)، بذل النظر في الأصول (ص: ٢٠٥).
(٩) سبق تعريف العام من قبل.
(١٠) الخاص لغة: من خصه بالشيء يخصه خصًا وخصوصًا وخصوصية، واختصه أفرده به دون غيره، ويقال: اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد وخص غيره واختصه ببره، ويقال: فلان مخص بفلان أي: خاص به وله به خصية.
ينظر: مقاييس اللغة، كتاب (الخاء) باب (ما جاء من كلام العرب أوله خاء في المضاعف والمطابق والأصم) مادة (خص) (٢/ ١٥٣)، مختار الصحاح، كتاب (الخاء) مادة (خ ص ص) (ص: ٩١)، لسان العرب باب (الصاد) فصل (الخاء) مادة (خصص) (٧/ ٢٤).
=

- ومنها خبر مخرجه مخرج الخصوص، ومعناه معنى العموم.
- ومنها خبر مخرجه مخرج العموم، ومعناه معنى الخصوص.

• فأما الأول: فقوله تعالى: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾(١) ، فجمع الخلق والأمر.

• وأما الثاني: فقوله: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾(٢) ، وقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(٣) ، وكان مخرج الخبر لعيسى -صلى الله عليه وسلم- مخرجه مخرج الخصوص، ومعناه معنى الخصوص.

• وأما الثالث: الذي مخرجه مخرج الخصوص، ومعناه معنى العموم، فقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾(٤).

• وأما الرابع: الذي مخرجه مخرج العموم، ومعناه معنى الخصوص، فقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾(٥) ، فعقل المؤمنون أن لم يعن آدم وعيسى في الناس الصادق بهما لما تقدم آنفًا من الخبر الخاص فيهما؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾(٦).

=

واصطلاحًا هو: لفظ وضع لمعنى معلوم أو لمسمى معلوم على الانفراد؛ كقولنا في تخصيص الفرد: زيد. وفي تخصيص النوع: رجل. وفي تخصيص الجنس إنسان.

ينظر: أصول الشاشي (ص: ١٣٢)، تقويم الأدلة في أصول الفقه (١/ ٩٤)، أصول السرخسي (١/ ١٢٨)، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (١/ ٣٠).

(١) سورة: النمل، الآية: (٩١).

(٢) سورة: ص، الآية: (٧١).

(٣) سورة: آل عمران، الآية: (٥٩).

(٤) سورة: النَّجم، الآية: (٤٩).

(٥) سورة: الحجرات، الآية: (١٣).

(٦) سورة: آل عمران، الآية: (٥٩).

المقصد الثالث: في إبطال قوله: أن القرآن مخلوق، ورد استدلاله على ذلك لقوله تعالى: ﴿جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾(١) ، وأن الجعل لا معنى له إلا الخلق.

يقال له: هل تُكفّر من زعم أن اليهود خلقوا التوراة؟!، أو أن من بني آدم من خلق القرآن؟!، أو أن الله قال لهم: لا تخلقوا الله؟!، أو قد خلقتم الله؟!، أو أنهم خلقوا الخلق؟!، أو خلقوا الملائكة؟!.

فيقول: نُكفّره ضرورة، فيقال له: أنت زعمت ذلك جميعه بدعواك أن الجعل لا يَرد في القرآن إلا بمعنى الخلق، وقد زيّف الله هذه الدعوى، وأبطلها بنص كتابه المبين في عدة أماكن يُقتَصَرُ منها على ما يلزمك بالتوزيع على ما سألتك عليه، واعترفت بكفر من زعم ذلك في كل منها، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾(٢) ، فيجعلونه أي: اليهود، أي: يصيرونه، وكذلك قوله: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ﴾(٣) ، وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾(٤) ، وقوله: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾(٥) ، وقوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾(٦) ، وقوله: ﴿وَجَعَلُوا المَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾(٧) ، ففي كل آية من هذه الآيات ما يدل عل إبطال زعمك، إذِ الجعل في كل منها بمعنى التصيير لا بمعنى الخلق، وقد اعترفت بكفر من قال أنه بمعنى الخلق(٨).

(١) سورة: الزُّخرف، الآية: (٣).
(٢) سورة: الأنعام، الآية: (٩١).
(٣) سورة: الحجر، الآية: (٩١).
(٤) سورة: البقرة، الآية: (٢٢٤).
(٥) سورة: النحل، الآية: (٩١).
(٦) سورة: الرعد، الآية: (١٦).
(٧) سورة: الزُّخرف، الآية: (١٩).
(٨) وقد دحض الإمام أحمد -رضي الله تعالى عنه- هذه الشبهة التي تشبث بها الجهمية والمعتزلة، واتخذوها ذريعة للقول بخلق القرآن، وذلك بقول الله تعالى: {فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا} [الأنبياء: ٥٨] وقوله تعالى: {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ} [الفيل: ٥] قال: "أفخلقهم" ؟؟!!!.
ينظر: المحنة على إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، للإمام تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي – تحقيق: أحمد بن فريد المزيدي – طبعة: دار الكتب العلمية (ص: ٥٢).

الفصل الثاني: في الرد عليه وإبطال قوله من حيث النظر والعقل

بأن يقال: هل خلق الله كلامه في نفسه؟ أو في غيره؟ أو قائم بذاته ونفسه؟

فالأول: محال؛ لأن الله تعالى لا يكون مكانًا للحوادث، ولا يكون فيه شيء مخلوق، ولا كان ناقصًا فيه كل شيء خلقه في نفسه.

والثاني: محال أيضًا؛ لأنه يلزم عليه أن كل كلام خلقه في عباده كلام الله حتى الشعر، وقول الزور(١).

والثالث: محال أيضًا؛ لأن الكلام لا يقوم بنفسه، فلابد له من متكلم، ولا نرى الكلام يقوم بنفسه ليتكلم بذاته.

أو يقال للملحد: أتقر بأن الله كان ولا شيء؟، وأنه خلق الأشياء بقدرته؟، وأنه لم يزل قادرًا؟، أو هل تقر بأنه لم يزل يفعل؟

فإذا قال: لا، يقال له: يلزمك أن تقر بأنه خلق بالفعل الذي كان عن القدرة، وأن الفعل غير القدرة، إذِ القدرة صفة له.

ولا يقال: بأن صفته هي هو ولا هي غيره.

ولا يلزم من ذلك ما يلزمنا به الملحد، أن الله لم يزل يخلق، وأن المخلوق لم يزل مع الله تعالى، فنقع في المحذور.

ونرده: بأن الذي تقوله أن الله خالق، ولم يزل الخالق سيخلق، إذِ الخالقية صفة له يقدر عليها، ولا مانع وأنه أحدث خلقه بأمره وقوله وقدرته.

---

(١) الزور: الكذب والباطل، وقيل: شهادة الباطل؛ يقال: رجل زور، وقوم زور، وكلام مزور ومتزور؛ أي: مموه بكذب، وقيل: محسن، وقيل: هو المثقف قبل أن يتكلم به؛ ومنه حديث قول عمر – رضي الله عنه–: «ما زورت كلاما لأقوله إلا سبقني به أبو بكر». والتزوير أيضًا: تزيين الكذب، والتزوير: إصلاح الشيء، وقيل: كل إصلاح من خير أو شر فهو تزوير، ومنه: شاهد الزور الذي يزور كلامًا. والتزوير: إصلاح الكلام وتهيئته.

ينظر: الصحاح تاج اللغة، باب (الراء) فصل (الزاي) مادة (زور) (٢/ ٦٧٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف (الزاي) باب (الزاي مع الواو) مادة (زور) (٢/ ٣١٨)، لسان العرب، حرف (الراء) فصل (الزاي المعجمة) مادة (زور) (٤/ ٣٣٧).

ويقال له: لا يخلو أن يكون أول خلق الله تعالى بقولٍ قاله أو بـــإرادة أرادها، أو بقدرة قدّرها، فأي ذلك كان فقد ثبت أن ها هنـــا إرادة ومريـــدًا ومرادًا، وقولاً وقائلاً ومقولاً، وقدرة ومقدورًا عليه، وذلك كله متقــدم قبـــل الخلق، وما كان متقدم قبل الخلق، فليس هو من الخلق في شيء. انتهى[1].

(١) سبق ذكر عقيدة الأشاعرة في كلام الله تعالى، ومناقشتهم فيها والرد عليهم بما أغنى عن إعادته هنا.

الخاتمـــــة:

في الرد على الجهمي والقدري إنكارهما أن الله تعالى يعلم ما يكـــون قبل أن يكون، وأن الله تعالى قد علم مالم يكن ولا يكون أن لو كـــان كيـــف يكون

وذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُـــرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(٢٧) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُـــونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(٢٨) ﴾(١)، وهذا مما لم يكن ولا يكون؛ لأنهم لا يردون، وأخبر عنهم مما يكون منهم أن لو عادوا، وذلك مما لا ريب فيه، والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمـــآب. انتهى(٢).

فضلاً من الله تعالى ومن على ما لله ومؤلفه الفقير من العلم والعمل، الغني بفضل الله تعالى عن كل مؤمل وأمل محمد أبو المعالي بن علي بـــن رمضان الطوخي الوفائي الشافعي المزيدي، خادم الشرع الشريف بالقـــدس المنيف في مستهل شهر رجب المرجب الفرد الحرام، سنة تسع وتســـعمائة بالمسجد الأقصى الذي فضائله لا تكاد تعد ولا تحصى والحمد لله وحده.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وصـــحبه وســـلم. والحمـــد لله رب العالمين

---

(١) سورة: الأنعام، الآية: (٢٧– ٢٨).

(٢) وهذا الاقتصار من المصنف على نوع واحد من العلم في حق الله تعالى هو فرع عما سبق ذكره في هذه المسألة وبيان القول الراجح من أقوال أهل العلم والمحققين فيها، وقد مر تفصيل ذلك بما أغنى عن إعادته هنا.

خاتمة التحقيق

وفي خاتمة هذا البحث فإنني أذكر أبرز نتائج وتوصيات الدراسة:

أولا: النتائج:

١- جرى المصنف – رحمه الله – في هذا المخطوط على مذهب الأشاعرة في صفة الكلام لله –عز وجل–؛ حيث ذهبوا إلى أن: كلام الله تعالى قديم وهو ليس بحرف ولا صوت، ولا يتعلق بمشيئة الله تعالى ولا إرادته، وقد خالفوا بذلك مذهب السلف الصالح.

٢- اتفق الأشاعرة مع أهل السنة والجماعة على أن صفتي السمع والبصر هما صفتان ذاتيتان لله تعالى.

٣- إطلاق اسم "شيء" على الذات العلية إنما هو من باب الإخبار عنه فحسب، وليس معنى هذا أنه من أسمائه الحسنى.

٤- الله تعالى يعلم ما يكون قبل أن يكون، كما أنه يعلم مالم يكن ولا يكون أن لو كان كيف يكون.

٥- ثبت بالأدلة السمعية والعقلية أن القرآن الكريم كلام الله تعالى غير مخلوق، فهو كلامه القديم المدلول عليه باللفظ الحادث المكتوب بين أيدينا في المصاحف.

ثانيا: التوصيات:

١- أوصى نفسى والباحثين أن يوجهوا جهودهم، ويصرفوا نفائس أوقاتهم فى تحقيق كتب التراث لعلمائنا المتقدمين؛ فإنهم قوم أفنوا أعمارهم فى خدمة الوحيين الشريفين، فكان من حقهم علينا أن نظهر نفائس مصنفاتهم إلى النور.

٢- كما أوصي – أيضا – بتنقية وتنقيح هذه الكتب؛ فإنها مع نفاستها وأهميتها إلا أنه قد دخل بعضها ما هو مخالف لمذهب السلف الصالح؛ فوجب التنبيه عليه وتنقيحه.

وأخيرا؛ فإنى أحمد الله الذى وفقنى وأعاننى على إتمام هذا العمل، وأسأله سبحانه أن يتقبله منى، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع بما ذكرته من تحقيقات، وأن يحشرنى فى زمرة هؤلاء العلماء المخلصين، الذين أخلصوا فأبقى الله ذكرهم فى الخافقين.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم. والحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

١)الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، علي بن أبـي علـي بـن محمـد، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي ١٩٩٥م.

٢)أصول الدين، البغدادي، عبد القادر بن طاهر، المحقق: صلاح عويضة، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية ٢٠٠٢م.

٣)أصول السرخسي، السرخسي، محمد بن أحمـد بـن أبـي سـهل، ط١، بيروت، دار المعرفة ١٩٩٨م.

٤)أصول الشاشي، الشاشي، أحمد بن محمد، بيروت، دار الكتاب العربـي، د.ت.

٥)إيضاح المكنون، البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين، بيروت، دار إحيـاء التراث العربي ١٩٩٨م.

٦)الإيمان، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، المحقق: محمد ناصـر الـدين الألباني، ط٥، عمان، المكتب الإسلامي ١٩٩٦م.

٧)بذل النظر في الأصول، الأسمندي، محمد بن عبد الحميد، تحقيق: محمد زكي عبد البر، ط١، القاهرة، مكتبة التراث ١٩٩٢م.

٨)بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيميـة، أحمـد بـن عبد الحليم، ط١، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٢٦هـ.

٩)تاج العروس، الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الـرزّاق، بيـروت، دار الهداية. د.ت.

١٠)تحفة المريد على جوهرة التوحيد، الباجوري، إبراهيم بن محمـد، ط١، مصر، مكتبة صبيح، ١٩٩٤م.

١١)التقرير والتحبير، ابن أمير حاج، محمد بن محمد، ط٢، بيـروت، دار الكتب العلمية ١٩٨٣م.

١٢)تقويم الأدلة في أصول الفقه، الدبوسي، عبد الله بن عمر بن عيسى، المحقق: خليل محيي الدين الميس، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ٢٠٠١م.
١٣)تهذيب اللغة، الأزهري، محمد بن أحمد، المحقق: محمد عوض مرعب، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي ٢٠٠١م.
١٤)جامع الرسائل، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، المحقق: محمد رشاد سالم، ط١، الرياض، دار العطاء ٢٠٠١م.
١٥)الحور العين، الحميري، نشوان بن سعيد، المحقق: كمال مصطفى، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٩٤٨م.
١٦)درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط٢، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٩١م.
١٧)الرد على المنطقيين، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، بيروت، دار المعرفة ١٩٩٨م.
١٨)شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الحميري، نشوان بن سعيد، المحقق: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، ط١، بيروت، دار الفكر المعاصر ١٩٩٩م.
١٩)الصحاح تاج اللغة، الجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٨٧م.
٢٠)الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد، ط٢، بيروت، دار الآفاق الجديدة ١٩٧٧م.
٢١)الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ت.
٢٢)الفصول في الأصول، الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر، ط٢، الكويت، وزارة الأوقاف الكويتية ١٩٩٤م.

٢٣)الفكر الإسلامي قراءة علمية، أركون، محمد، ط٢، بيـــروت، المركـــز الثقافي العربي ٢٠٠٣م.
٢٤)فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهريّة، الخيمي، صلاح محمد، ط٢، دمشق، مجمع اللغه العربيه ١٩٨٣م.
٢٥)قضايا في نقد العقل الديني، أركون، محمـــد، ط١، بيـــروت، المركـــز الثقافي العربي ٢٠٠٤م.
٢٦)قواطع الأدلة في الأصول، السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار، المحقق: محمد حسن الشـــافعي، ط١، بيـــروت، دار الكتـــب العلميـــة ١٩٩٩م.
٢٧)كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، البخاري، عبد العزيز بن أحمد، ط٣، بيروت، دار الكتاب الإسلامي ١٩٩٧م.
٢٨)لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، ط٣، بيروت، دار صادر ١٤١٤هـــ.
٢٩)مجموع الفتاوى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط١، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٩٩٥م.
٣٠)المحنة على إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، ابـــن ســـرور المقدســـي، عبد الغني بن عبد الواحد، تحقيق: أحمـــد بـــن فريـــد المزيـــدي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ٢٠٠٤م.
٣١)مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، المحقـــق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، بيروت، المكتبة العصرية ١٩٩٩م.
٣٢)مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، علي بن الحسين بن علـــي، ط١، بيروت، دار الأندلس ١٩٩٦م.
٣٣)المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، أحمد بن محمد بـــن علي، ط١، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت.

٣٤)معارج القبول بشرح سلم الوصول، الحكمي، حافظ بن أحمد، المحقق : عمر بن محمود أبو عمر، ط١، الدمام، دار ابن القيم ١٩٩٠م.

٣٥)مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، أبو زيد، نصر، ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي ١٩٩٨م.

٣٦)مقاييس اللغة، الرازي، أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، بيروت، دار الفكر ١٩٧٩م.

٣٧)الملل والنحل، الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، مصر، مطبعة الحلبي. د.ت.

٣٨)منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، المحقق: محمد رشاد سالم، ط١، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٨٦م.

٣٩)موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، محمد بن علي، تحقيق: علي دحروج، ط١، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون ١٩٩٦م.

٤٠)نقد الخطاب الديني، أبو زيد، نصر، ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي ٢٠٠٧م.

٤١)النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ط١، بيروت، المكتبة العلمية ١٩٧٩م.

٤٢)الهداية الى بلوغ النهاية، ابن أبي طالب، مكي، ط١، الإمارات، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ٢٠٠٨م.

ثانياً :

التفسير وعلوم القرآن

